الدلالات التاريخية لبعض مظاهر ذهنيات العوام في المغرب
(من منتصف القرن الرابع إلي منتصف القرن السابع الهجريين)

الباحثة / الشيماء محمد فكري حسن الصعيدي

تعد الميثولوجيا وثيقة تاريخية هامة عند كتابة تاريخ الشعوب، فهي تح مل بين ثناياها مراحل عبور الإنسان منحني الحضارة، وبالرغم من التطور الذي تشهده الحضارة الإنسانية ووصولها لمرحلة النضج العقلي إلا أن العامة مازالوا يحملوا في وجدانهم قدراً من الميثولوجيا التي أطلق عليها المؤرخون ذهنيات العوام، والتي تظهر في أوقات انهيار المجتمعات البشرية، ويعد ظهورها محاولة من العامة مواجهة مشكلات المجتمع التي تعجز السلطة السياسية عن حلها.

تحمل ذهنيات العوام شقين الأول تاريخي والثاني ثقافي، و فيما يخص الأول هي تضم بين جنابتها الأحداث الكبري التي تمر بها المجتمع، ويظهر الثاني فيما تستخدمه من لغة رامزة للتعبير أفكارها و معتقداتها ونظرتها لما يحيط بها من أحداث، ومن أهم أنواع الذهنيات التي انتشرت في الفترة موضوع الدراسة السحر – التنجيم – أسرار الحروف، وسنتناول في هذا البحث الدلالات التاريخية لظهورهم في منتصف القرن الرابع إلي منتصف القرن السابع الهجريين.

السحر

مثل شعورا الخوف والفضول دافع للإنسان نحو الاستكشاف، وتدرجت هذه المعرفة تبعا لنمو عقله وإدراكه لتفسيرات الكون، تروي أسطورة نشأة السحر أن هام بن نوح هو أول السحرة (١)، وقد استوطنت ذريته بلاد الفرس تحت زعامة ابنه زوروستر ZOROASTRE، وقد حفظ كتاب الأفستا Avesta(كتاب فارس المقدس) كلمة المجوس باعتبارهم الرعيل الأول للمنجمين والسحرة الوافدين من بابل، ثم انتشر لباقي البلاد (٢).

تعددت محاولات تعريف السحر تبعا لوجه نظر مفسريه، فحصره علماء اللغة بكونه أمر خارق للعادة خفي سببه (٣) لاعتماده علي الخداع و التخيل (٤)، تصديقا لقوله

تعالي " وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ (سورة الأنعام:الأية ٧)، أي تخيل لا حقيقة له، بينما قصره رجال الدين علي كل عمل تقرب به إلي الشيطان (٥)، أوضح ذلك ابن عربي في أحكامه قائلا : " حقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالي وتنسب إليه فيه المقادير والكائنات(٦).

أدخله آخرون في زمرة العلوم، وعلي رأس أصحاب هذا الاتجاه ابن خلدون الذي قال عنه :" هي علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها علي التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين (السحر)، أو بمعين من الأمور السماوية (الطلسمات)"(٧)، سار فريزر علي نهج ابن خلدون في اعتبار السحر علم، ولكنه اعتبره علم كاذب بقدر ما هو فن عقيم (٨)، وسواء أكان السحر فناً أو علماً فلابد من وجود قوانين تحكمه، ومن أهم تلك القوانين التي تقوم عليها الممارسات السحرية قانون التشابة وقانون الاتصال (٩)، مستندين علي قانون الوحدة الذي يؤكد أن أي جسم يظل مرتبطاً إلي الأبد بأي شيء ينفصل عنه(١٠).

تداخلت بعض الكلمات مع السحر لاشتراكهم في الخروج عن المألوف، وأولي تلك الكلمات الشعوذة ويقصد بها خفة اليد Slight of hand (١١)، أما العيافة فيقصد بها التنبؤ بملاحظة حركات الطيور والحيوانات، ويعرف هذا بكونه ضرب من التكهن، لذا أطلق علي الكاهن Divination زاجراً ، وتطلق كلمة كاهن علي من يتعاطي الخبر من كائنات غيبية في المستقبل، أما الساحر فهو من يتحكم بالأرواح ويوجهها (١٢)، أما العرافة itchcraft فهي التنبوء بواسطة الاتصال بالأرواح الشريرة(١٣).

يرجع انتشار السحر في بلاد المغرب لطبيعته الجغرافية(١٤)، والتي تعد تربة خصبة للإيمان بالسحر والغيبيات، فيمارس السحر كنوع من موجهة الظلم الاجتماعي، الناتج عن النظام القبلي، وسوء الأوضاع الاقتصادية (١٥).

أوضح ابن خلدون بعضاً من المظاهر السحرية المنتشرة بالمغرب فأكد علي وجود طائفة من السحرة يسموا البعاجين قائلاً :

"وجد بالمغرب صنف من المنتحلين السحر يسموا البعاجين، وهم الذين يشيرون إلي الكساء أو الجلد فيتخرق، ويشيرون إلي بطون الغنم بالبعج فتتبعج، ويسمي احدهم لهذا العهد

باسم البعاج لان أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغابة خوفاً علي أنفسهم من الحكام، لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية وإشراك الروحانيات الجن والكواكب، سطرت فيها صحيفة عندهم تسمي الخزيرية يتدارسونها، وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون إلي حصول هذه الأفعال لهم، وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوي الإنسان الحر من المتاع والحيوان والرقيق، ويعتبرون عن ذلك بقولهم إنما نفعل فيما تمشي فيه للدراهم، أي ما يملك ويباع ويشتري من سائر الممتلكات، وهذا ما زعموه، وسألت بعضهم فأخبروني به، وأما أفعالهم فظاهرة موجودة، وقفنا علي الكثير منها وعاينتها من غير ريبة في ذلك، هذا شأن السحر والطلسمات، وآثارها في العالم(١٦).

يذكر البكري من تلك الممارسات السحرية أنه "وجد في بعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة يعرف بابن كسية كان أهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين وإذ عصاه احد أو خالفه حول كساء التي يتلحف بها فتصب ذلك الرجل عاهة لحينه أو جايحة وأن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك وكان يخيل إليهم كأن برقة تلوح من تحت كسائة ولبنيه وعقبه حتي الآن في تلك الناحية منزلة ومزية وحظوة علي سواهم".

ظهر في بني شداد رجل منهم وكان معه عدل مملوه برؤوس الحيوان وأنيابها من بريها ويجريها قد نظمها في حبل واتخذها كالسبحة فإذا سأله أحد عن شيء من الحدثان وما هو كأن علق منه ذلك السبحة وقلده إياها ثم لفها عليه وانتزعها وجعل يشمها قطعة قطعة إلي أن تمسك في يده وما امسك منها ثم طفف يخبره خبره وما لذي سأل عنه وعما يدور له من مرض أو موت أو ربح أو خسران أو إقبال أو إدبار أو عبره أو غير ذلك فلا يكاد يخطي.

ذكر من أعاجيب بلد غمارة أن عندهم قوما يعرفون بالرقادة وهم في وادي عند بني سعيد وعند بني فطيطن وعند يروتن يغشي علي الرجل منهم يومين وثلاثة فلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلغ منه أقصي مبلغ من الأذي ولو قطع قطعا فإذا كان بعد ثلاثة من تمشية استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كأوله، لا يتجه لشيء فإذا أصبح في يوم الثاني أتي بعجايب مما يكون في ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب أو غير ذلك وهذا أمر مستفيض لا يخفي"(١٧).

اخبرني غير واحد أنه رأي بمرسي باديس رجلاً قصير القامة مصفر اللون يكرمه أهل ذلك الموضع ويقدمونه ويذكرون أنه ينيط المياه في المواضع التي لم يعهد فيها ماء عيونا وآبارا وانه يخبر بقرب الماء وبعده وأنه أنما يستدل علي ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع لا غير.

يتضح من تلك الممارسات السحرية أن السبب الأساسي في ادعائها سوء الأحوال الإقصادية وذلك حينما يشير ابن خلدون لسبب قيام هؤلاء ببعج الأنعام " يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها " (١٨)، والتي ظهرت بجلاء في شيوع المجاعات التي ضربت المغرب نتيجة سوء الأحوال المناخية (قلة الأمطار)، بالإضافة لكثرة الفتن والحروب وهو ما وقع خاصة عصر دولتي المرابطين والموحدين(١٩)، والذي ساهم بدوره في قلة الغذاء، وما يتبعها من كثرة الجبايات، وهو ما يحدث عادة عندما تصاب الدول بالهرم ويكف الناس عن الإنتاج(٢٠)، ويكون أكثر الناس عرضه لمواجهة تلك الكوارث هم العامة.

من ابرز المجاعات التي وقعت بالمغرب فترة الدراسة ما عرف باسم السنوات العجاف منذ سنة ٤٩٨هـ حيث " تناهي القحط في بلاد الأندلس والغدوة حتي أيقن الناس بالهلاك"، كما شهدت مدينة فاس جفافا إبان سنتي ٥٢٤و ٥٢٥هـ، وعصف بالمغرب عدة مجاعات والتي تدور فيما بين ٥٣٥حتي ٥٤٠هـ /١١٤٠-١١٤٥م، نتيجة لحصار مراكش الذي استمر عشرة أشهر " هلك المرابطون جوعاً طول هذه المدة، وضاقوا حتي أكلوا الجيف، وأكل أهل السجن بعضهم بعضاً، وعدمت الحيوانات كلها، وعدمت الحنطة بأسرها، وطلب إسحاق اللمتوني مخازن أبيه فلم يجد فيها شيئا "(٢١)، ثم وقعت مجاعة رهيبة سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م(٢٢)، وأخري سنة ٥٣٧هـ /١١٤٢م، وعدم في سبته الطعام حتي سمي بعام سبعة، فكان من نتائج ذلك أن " كثر الغلاء في البلاد المغربية من أجل النفاق واختلاف الكلمة حيث انقطع السبيل وانعدم الدليل، وكان اشد ضرراً في تلك الجهات علي الناس عرب رياح بالاختلاس والافتراس لاسيما بأحواز مكناسة وفاس".

في عصر دولة الموحدين فقد وقع غلاء للأسعار عام ٥٧٣هـ ١١٧٧م ولم تدل المصادر علي أسباب ذلك (٢٣)، كما وقعت مجاعة أخري عام ٥٩١هـ/ ١١٩٥م، وثالثة عام ٦٠٧هـ/ ١٢١١-١٢١٢م ورابعة ٦١٠هـ/١٢١٣-١٢١٤م عقب موقعة العقاب، كما وقع

غلاء للأسعار والخراب علي عهد يحي بن محمد الناصر (٢٤)، أما في عام ٦١٦هـ/١٢٢٠ م فكانت مجاعة الظاعن والقمي (٢٥)، ووقعت مجاعات خلال أعوام ٦١٩-٦٢٤هم١٢٢٢-١٢٢٧م، وعام ٦٣٠هـ/١٢٣٤(٢٦) وأيضا مجاعات عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٩.

تعرضت مراكش لمجاعة أثناء حصار عرب الخلط عام ٦٣٢هـ/١٢٣٧م، ويصور ابن عذاري ذلك قائلا " لما خرج الرشيد أمام الخلط من مراكش تحير الناس وكثر فيهم الهرج وعظمت عليهم المصيبة بإسلامهم وانتهي المد الواحد من القمح الحفصي إلي سبعة دراهم كبار، أما أسواق المدينة في هذه المجاعة فلم يكن بها ما يطلق عليه اسم شيء بوجه من الوجوه، والحوانيت مغلقة وما بقي بها من يلبس ثوباً يساوي عشرة دراهم إلا الأطمار المتغيرة الخلقة، وتغيرت عليه، وإنهم ليقام ينظرون وما يصل إلا الكفاة الذين لهم تجلد علي الاقتحام صبر، ثم لا يعدم الذي يتواصل إليه يجتمع عليه العشرون وأكثر من الضعفاء المساكين حتي ينتزعوه منه قهراً، وإما شيخ عجوز أو طفل أو ضعيف فانه لا يصل إلي شيء لا عليه لقمة منه "، ولما انتهت هذه الشدة بالناس إلي كل غاية... واشتد الحصار حتي تمني الناس الأسر، وبلغت القلوب الحناجر"(٢٧).

يوضح لنا هذا النص أن السلوك البشري هو المسئول عن تأزم الكوارث، فانتشر العنف بين الناس حتي أكلوا بعضهم بعضا(٢٨)، وأكل الناس الخسيس من الحيوانات(٢٩).

يظهر من نص ابن خلدون " لان أكثر ما ينتحل من السحر بعج الأنعام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون بذلك في الغابة خوفا علي أنفسهم من الحكام " يشير هذا النص لانتشار اللصوصية بالمغرب فإرهاب الناس نوع من اللصوصية، كما يعد اختفائهم في الغابات من أشكال الهروب من السلطة كما هو موضح، وكله هذا ناتج عن تأزم الأوضاع الاقتصادية بالمغرب.

يأتي تأكيد ابن خلدون وجود هذا النوع من السحرة في بلاد المغرب متوافقاً مع ما سبق وأن أوضحه أن السحر علم مكتسب، موضحاً بذلك أن لهم رياضة معينة يمارسونها، وبالإضافة إلي كتاب يتدارسونه يسمي (الخزيرية)، وهو بذلك يخرج السحر من دائرة الخداع والحيل إلي دائرة العلم، والفعل الحقيقي فهم يشيرون لبطون الأنعام بالانبعاج فيقع لها ذلك، مؤكداً انه قد شاهد هذا بنفسه، وهذا منزلق وقع فيه ابن خلدون، كما أنه يرجع ممارسة هذا

النوع من العلم الكافر علي حد زعمه إلي " دعوات كفرية " وأسرار الروحانيات والجن والكواكب، وهي الوسائل التي يستخدمها هذا الساحر لتحقيق أغراضه الاقتصادية وهي الحصول علي الدراهم أو أي شيء يمكن أن يباع أو يشتري، وذلك في محاولة لمواجهة ما ساد ببلاد المغرب من مجاعات ناتجة عن سوء الأحوال وقلة المياه

يتضح من خلال الممارسات الشعبية التي سبق توضيحها اثر العامل الاقتصادي في انتشار ظاهرة السحر، سواء أكان بحثاً عن الغذاء أو بحثاً عن أبار الماء، أو ربما لسعي أحدهم للسيطرة علي العامة لأهداف خاصة، ومحاولة تهدئة المخاوف الناتجة عن الاضطرابات التي تسود في زمن التحولات الراهن، أي أن السحر يحافظ علي مشاعر الخوف من الانحرافات والتوترات المؤذية المجتمع، فيلعب بذلك لصالح ضبط النظام الاجتماعي (القائم)، فهو من الجانب السوسيولوجي يعد تعبيراً مطمئناً، لأنه يمنح الإنسان الاعتقاد في التعرف علي السر وبذلك فهو في أمكانه معالجته، أما من الجانب الإيدولوجي فان السحر يفسر من خلال حركة الأرواح الشريرة انتقائية الحوادث والمصائب والويلات التي تصيب بعض الناس وليس الآخرين (٣٠).

يرجع اعتقاد البربر في السحر لبقايا ما تحمله نفوسهم من تراث ثقافي، ناتج عما استقر بها من ديانات وثنية إفريقيا قديمة، مليئة بالكثير من الطقوس السحرية (٣١).

التنجيم

كانت الظواهر الكونية هي أول ما داعب خيال الإنسان منذ بدء وجوده، فاتجه بتفكيره العميق للنظر إلي السماء، ومتابعة حركة الأفلاك والنجوم، حتي أن بعض الرياضيات الروحية القديمة تقوم علي السكون والنظر إلي السماء، ولما جاء الإسلام بما حمله من دعوة لمعرفة الله، من خلال التدبر وإعمال الفكر، وقد جاءت آيات القرآن الكريم تحث علي مثل هذا التدبر فمنه نعرف الله، ونوقن بوحدانيته، فكل هذا دال عليه وعلي ربوبيته، أَفَلَمْ يَنظُرُوآ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) سورة (ق).

يختص التنجيم Astrology بالنظر في النجوم وحساب مواقيتها وسيرها (٣٢)، ينقسم التنجيم إلي قسمين الأول التنجيم الاستدلالي والتنجيم الحسابي (٣٣).

عرف الخلفاء الفاطميون باهتمامهم بالتنجيم، حتي ليقال بأن الفاطميون، اختاروا ابن حوشب لرياسة دعوتهم في بلاد اليمن، لما عرفوا عن طريق النجوم انه سيكون له شأن في نشر هذه الدعوة في تلك البلاد (٣٤)، وقد انتقل معهم هذا الولع بالتنجيم لدولتهم في بلاد المغرب حتي إنه لينسب إلي خلفائها الاشتغال بالتنجيم، ومنهم المنصور الذي يقول عن ذلك:" والله ما طلبتها وتعلمتها لشيء مما تراه الناس من القضايا، ولقد وافقت في مواقف الحروب التي ولتها أيام الفتنة إلي حين انضوائها فما وقفت قط موقفاً منها باختيار العلم من علم النجوم، وما كان الأمر يقع بقلبي ويتحبب لي، وقضايا النجوم وتمنع منه، فلا القي لتلك القضايا بالاً ولا التفت إليها، واعمل ما يقع بقلبي ويتحبب إلي، فيكون في ذلك التوفيق والنصر، وضد ما يوجب القول بالنجوم، والله ما طلبنا هذا العلم إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكره وتثير حكمه في منفعلاته فإياك أن تشغل نفسك بغير هذا أو لا تلتفت إليه"(٣٥).

يدلل هذا النص علي انصراف الفاطميون عن محاولات استطلاع الغيب رغم براعتهم في التنجيم، وقصر استخدامهم له فيما يخص العبادة وأداء فروض دينهم، وهو ما أخذه الفقهاء علي خلفاء الدولة العباسية (٣٦)، فأراد الفاطميون تبرئة أنفسهم لهدف سياسي واضح.

نفي الخليفة الفاطمي المعز لدين الله اشتغاله بالتنجيم إلا للفائدة العلمية و الدينية التي تنصب علي حساب عدد السنين و مواقيت الليل والنهار، ليعتبر بذلك عظيم قدرة الله عز وجل وما في ذلك من الدليل علي توحيده جل ذكره (٣٧).

انتقل الاهتمام بالتنجيم من الدولة الفاطمية لوريثتها الدولة الزيرية، فكان مربي المعز بن باديس (أبو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب الشيباني) من أشهر المنجمين، وقد عرف في أوربا باسم Al bohazen – Albohacen – Abenragel،، ومن أهم مؤلفاته كتاب (البارع في أحكام النجوم)، كما ألف منظومة في علم الفلك (٣٨)، ظل هذا الاهتمام بالتنجيم طوال عصر الدولة الزيرية وخاصة عصر الأمير يحي بن تميم، الذي أحاط نفسه بكوكبة من المنجمين للاستعانة بهم في إدارة شؤون الدولة، بل إن هذا الأمير نفسه كان عالماً بالنجوم وأحكامها، فقد أنشا مخبراً في قصره بالمهدية سماه دار العمل(٣٩).

تقلد المنجمون مناصب عليا في دولة المرابطين، فما أن شرع يوسف بن تاشفين في بناء العاصمة مراكش حتي أحاط نفسه بالمنجمين لاستشارتهم في أمور الدولة، ويتضح هذا بجلاء في تنبؤء هؤلاء للعاصمة الجديدة (مراكش) بالتعرض للحصار خاصة فيما يخص مصادر المياة، وهو ما دفع بيوسف ابن تاشفين لإخفاء تلك المصادر عن الأعين (٤٠).

شغل المنجمون مناصب هامة في دولة المرابطين " فقد استوزر علي بن يوسف في آخر أيامه اسحق بن بنتان بن عمر بن بنتان، وما بلغ عمره ثمانية عشر عاماً (٤١)، كما شغل الوزير مالك بن وهيب الإشبيلي منصب رئيس مجلس علماء المرابطين في عصر علي بن يوسف بن تاشفين، وقد كان حزاء ينظر في النجوم (٤٢)، ونبغ في عصر علي بن يوسف عدد من المنجمين مثل أبو العباس احمد بن يوسف التنوخي ومن تأليفه " القبس " المستنبط علي أرصاد أبي إسحاق الطليطلي المعروفة بالزرقالة وأبو الحسن علي بن خلف الأموي ومن تأليفه " اللؤلؤ المنظوم في معرفة الأوقات والنجوم، وأبو الحسن موفق مولي يوسف بن إبراهيم المعروف بالمستالي ومن تأليفه " الاهتداء بمصابيح السماء، والفقيه أبو الوليد الوقشي الذي كان عارف متحققاً بالحساب والهندسة (٤٣).

بلغت النهضة العلمية ذروتها عصر دولة الموحدين وخاصة عصري الخليفتين عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور (٤٤)، لحرصهما علي نشر العلم من خلال انشأ المدارس والكتاتيب وعقد مجالس العلم العامة والخاصة، فضلاً عن نشاط حركة الترجمة والمكتبات، والذي انعكس بدوره علي التنجيم وظهر أشخاص بعينهم تميزوا بالبراعة فيه منهم ابن الكماد التونسي وهو أبو العباس أحمد بن علي بن أسحق، وأبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السكاك الذي عاش في القرن السادس الهجري، أبي عبد الله الحراز، و محمد عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشلبي الفاسي(٤٥).

يتضح من العرض السابق التزام التنجيم في بداية ظهوره بالمنهج العلمي، وذلك باعتباره جزء من الحركة العلمية التي شهدها العالم الإسلامي عامة والمغرب خاصة، ومن خلال تتابع الدول التي اهتمت بهذا العلم نجدها قد حملت بداخلها بذور انهيارها، فإذا ما قاربت تلك الدول علي الانهيار دخلت الخرافة إلي العلم بعد ما يصاب بالجمود، وتتوارث الشعوب تلك الخرافة، التي يمنعها من الظهور تعاقب دولة أخري اقوي، ويبدوا هذا واضحاً

في إنكار الخلفاء الفاطميين اشتغالهم بهذا العلم، والذي عرف عنهم الاهتمام بالعلوم وبالحركة العلمية خاصة المنصور والمعز لدين الله، وكان الأخير الأكثر شهرة بعلمه الذي شمل عدة مجالات، فإذ ما رحل الفاطميون إلي القاهرة، حلت محلها الدولة الزيرية حتي ترث نفس الاهتمامات العلمية فيبرع عدد من المنجمين في ظلها بل إن خلفائها يسروا علي نهج الخلفاء الفاطميين في الاشتغال بأنفسهم بالتنجيم.

قامت دولة المرابطين علي أساس دعوة دينية أطلقها الفقيه عبد الله بن ياسين، وما نسج حولها من هالة مقدسة تهدف لإصلاح الإسلام في بلاد المغرب وتوحيد المغاربة تحت قيادة واحدة، حتي توارت تلك الموروثات بالميل إلي التنجيم والاستطلاع الغيب، إلا إن ذلك الموروث الفطري يظهر حينما يجلب يوسف بن تاشفين هؤلاء المنجمين ليروا طالع المدينة ويخبروه عن مستقبلها وهو ما يدفع به اعتقاده لإخفاء مصادر المياة، ولم يمنعها هذا من التعرض للحصار والمجاعة حتي سقطت في النهاية في يد الموحدين، وقد ظهر هذا الولع بالتنجيم في أواخر عصر الدولة في تقلد مالك بن وهيب رئيس المجلس العلمي ليوسف بن تاشفين، وهو عصر ظهور ابن تومرت وتنديده بمظاهر الفساد في دولة المرابطين، ومن الطبيعي أن تنشط تلك الشائعات قرب نهاية الدول، والمصادر التاريخية مليئة بذكر مظاهر الفساد الأخلاقي والديني والاجتماعي عصر الخليفة علي بن يوسف بن تاشفين.

ولما قامت دولة الموحدين، علي يد مؤسسها ابن تومرت، الذي اقترن ظهوره بمزيد من الميثولوجيا فضلاً عما رسخ بالوجدان الشعبي طوال عهود سابقة بموروثات غيبية تتوراي خجلة من الظهور، فعمل علي استخراج ما تراكم في الذاكرة الشعبية بل وأضاف إليه ما يخدم أهدافه ويقيم دولته، وقد نجح ابن تومرت في تحقيق ذلك لمعرفته ما اختزن في الوجدان الشعبي، ويتحكم في معتقدات وتطلعات العامة إلا أنه يقف خجل من الظهور بسبب الاهتمام بالعلوم والمعارف، فكان عصر دولة الموحدين هو عصر الصحوة سواء في الاهتمام بالعلوم أو إيقاظ الإيمان بالغيبيات وتعميق جذورها، خاصة وان ابن تومرت قد وجد تربة خصبة لذلك، ولما جاء خليفته عبد المؤمن بن علي تابع سيرته في الاهتمام بالحركة العلمية، ولكن مع اقتراب نهايات الدول تعود الذهنيات والإيمان بالغيبات والذي ظهر بشدة بعد إبطال عقيدة المهدي، فكان إذانا آخر بقرب نهاية الدولة.

تتجلي مظاهر الانحطاط الفكري بتدهور العلوم، وقد مس هذا التهور التنجيم الذي تحول من علم له مناهجه وأسسه إلي ضرب من الغيبيات المرتبطة بالسحر، وقد عبر د. محمود إسماعيل عن هذا قائلاً " إن علم الفلك الذي ازدهر في عصر الصحوة البورجوازية الأخير ما لبث أن انتكس وتحول في الغالب الأعم إلي ضرب من التنجيم والسحر والرجم بالغيب مما يشي بالانهيار الفكري وانحطاطه في عصر الإقطاعية العسكرية "(٤٦).

لما كان التنجيم الأقرب إلي إفهام العامة، لذا ارتبط بذهنياتهم، فقيل أنه يمد المشتغلين به بقوي سحرية مثله في ذلك مثل السيمياء فالسحر المعتمد علي التنجيم يتضمن تعاليم دقيقة خاصة بعقيدة نجومية لها قرابينها وطقوسها وصلواتها التي وصفت بدقة (٤٧)، وأدعي أصحاب هذه الصناعة ما يقول عنهم ابن خلدون :" هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بئا الكواكب في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوي الكواكب وتأثيراتها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمع، فتكون بذلك لأفلاك والكواكب دالة علي ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية، فالمتقدمون منهم يرون إن معرفة قوي الكواكب وتأثيراتها بالتجربة إنما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن، أدوار الكواكب منها ما هو طيل الزمن، فيحتاج تكراره إلي أدوار و أحقاب متطاولة يتقاضي عنها ما هو طويل من عمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم إلي معرفة قوي الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو ري قائل وقد كفونا مؤونه إبطاله (٤٨).

نتج عن ذلك أن حرم الفقهاء الاشتغال بالتنجيم بل عدوة خروجاً عن الدين، وقد أوضح ذلك ابن خلدون قائلاً : " فكيف بعمل مهجور الشريعة مضروب دونه سد الحظر والتحريم مكتوم عن الجمهور "(٤٩)، فكان هذا إعلان عن بدء محاربة التنجيم والمشتغلين به.

مفهوم أسرار الحروف عند المتصوفة والإسماعيلية

الحرف في اللغة هو ما يتركب منه اللفظ، ويسمي الحرف النهجي، وحرف الهجاء، وحرف المبني وحرف المعجم، ومن ثم فان حرف الهجاء كحرف المقطع أو الكلمة، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالي (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ

مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ)) (الحج،١١-١٣)، أما في النحو فالحرف أحد أنواع الكلام الثلاثة، قاله محي الدين بن عربي ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م " هو ما يخاطب الحق به من العبادات "(٥٠).

أتخذ الحرف عند أهل التصوف مكانة مميزة فعرف بكونه "الحقائق البسيطة من الأعيان وعندهم الحروف العاليات، وهي الشئون الذاتية الكائنة في غيب الغيوب كشجرة في النواة، فالحرف يحمل في طياته أسرار الوجود، وتكمن فيه جميع الحقائق الكونية والإلهية، المشاهدة أو الغائبة عن الأعيان في المكان والزمان"(٥١)، " ويسمي ابن عربي هذه الحروف باسم المفاتيح الأولي، المعبر عنها بمفاتيح الغيب، وهي الأسماء الذاتية، وأمهات الشئون الأصلية، التي هي الماهيات من لوازمها ونتائج تعقل تعريفاتها" (٥٢)، أما عبد الكريم الجيلي ٨٣٢هـ/١٣٢٨ م، فيري الحروف علي ثمانية أطوار وهي حروف حقيقة، وحروف عاليات، حروف روحية، حروف صورية : حروف معنوية، حروف حسية، حروف لفظية حروف خيالية (٥٣).

تمثل الحروف لدي الصوفية أحد وسائل المعرفة الكلية، لكونها تمثل المنهج الكشفي لدي الصوفية، لذا فهي قاصرة علي الخواص من أهل التصوف وهو ما يؤكده الجيلي قائلا :" من تجلي الله عليه في المنظر الحرفي، اطلع علي حقيقة كينونته في العلم الإلهي بأي صفة وعلي أي حال، وفي أي مرتبة، أقامة الله تعالي في علمه"(٥٤)، كما يوضح ابن عربي هذا العلم ومكانته قائلاً " هو علم شريف في نفسه، إلا أن السلامة منه عزيزة فالأولي ترك طلبه، فإنه من العلم الذي أختص الله به أولياؤه علي الجملة، وإن كان عند بعض الناس منه قليل، ولكنه من غير الطريق الذي يناله الصالحون، ولهذا يشقي به من هو عنده، ولا يسعد "

نشأ علم الحروف كمحاولة أولية لفهم وتأويل الحروف المتقطعة في القرآن الكريم، وفي هذا يقول ابن عربي "أن آيات القران لا تحمل معاني ظاهرة فقط بل أنها تحمل معاني باطنه علي الإنسان حتي يكتمل إيمانه أن يدركها"(٥٥)

كان الشيعة أول من أهتم بهذا الأمر، ثم انتقل منهم إلي المتصوفة (٥٦)، الذين جعلوا لسر التصرف بالحروف قيمة عددية، وان سر الحروف لا يتوصل إليه بالقياس

العقلي، إنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي، وفي ذلك يقول ابن عربي عن علم الحروف :" علم الأولياء و به تظهر أعيان الكائنات ألا تري تنبيه الحق علي ذلك بقوله " كن" فظهر الكون عن الحروف (٥٧).

بلغ هذا العلم أوج ازدهاره في القرن الثالث والرابع الهجريين، فبقيام الدولة الفاطمية بالمغرب وما عرف عن خلفائها من الاهتمام بالعلوم والاطلاع علي الحضارات السابقة وخاصة الحضارة اليونانية حتي أطلق علي الإسماعيلية اسم " التعليمية " (٥٨)، وباعتبار أسرار الحروف مختص ببعض الفرق الشيعية، وخاصة فرقة الإسماعيلية حيث يطلقون عليه (علم الباطن)، فلا عجب أن تنتشر أسرار الحروف وتختلط بالفكر الفلسفي، والأديان القديمة في بلاد المغرب، حيث اعتبر المستشرقون وعلي رأسهم ادم ميتز أسرار الحروف تطوراً لمصادر فلسفية ودينية سابقة، خاصة الفلسفة الأفلاطونية بالإضافة لارتباطها بالتصوف اليهودي أو ما يعرف بالقابلة لكونه من العلوم الباطنية، وعناصر شيعية تبحث عن المهدي وخروجه آخر الزمان(٥٩)، ويبرز هنا رأي د. محمود إسماعيل موضحاً هذا الأمر :"استمد التصوف العرفاني مادته المعرفية المتمثلة في العقيدة الإسلامية والآراء الفلسفية للمشائين المسلمين، فضلا عن الأفلاطونية المحدثة، لذلك يخطئ من تصور أن التصوف العرفاني المغربي جري استيراده من الشرق" (٦٠).

لما رحلت الدولة الفاطمية تركت ميراثاً تسرب إلي الوجدان الشعبي من أسرار الحروف، إلا أنه ظل قاصراً علي الأوساط المثقفة، ولكن بعد انتشار المذهب المالكي علي إثر قيام دولة المرابطين، وما تبعها من سيطرة فقهاء المالكية علي الدولة، مما آثار نقمة المجتمع، ومن هنا نشط التصوف بشقيه السني والعرفاني، مستفيدين مما تسرب للوجدان الشعبي من تشييع، فحض الأول علي الهروب من الدنيا والالتفاف حول الأولياء باعتبارهم مخلصين مما أدي لنشوء ظاهرة تقديس الأولياء، بينما وقف الثاني موقف المعارضة بل وصل الأمر إلي الاستعداد لرفع السلاح تطبيقاً لما تعتنقه فرقتي الشيعة والمعتزلة الضلعان الأساسيان في اعتناق التصوف العرفاني(٦١).

أدي هذا بدوره إلي اضطهاد السلطة السياسية لأفراد هذا التصوف، فأفتي فقهاء المالكية برمي هؤلاء بالإلحاد والزندقة، وكان علي رأس هؤلاء ابن برجان (ت ٥٣٦هـ) أحد

رموز التصوف العرفاني بالمغرب (٦٢)، ويدفع هذا الاضطهاد ابن العريف (ت٥٢٦هـ) بالرحيل من المغرب موطنه إلي المرية بالأندلس التي كانت مجالاً خصبا لنشر أفكاره (٦٣)، في الوقت التي تعمل فيه الدولة المرابطية علي تقريب التصوف السني وإعلاء شأنه وخاصة علي يد أبي مدين التلمساني، فتشيع الكرامات والخرافات.

وفي عصر دولة الموحدين بالرغم من دعوة ابن تومرت العلمية والإصلاحية في ظاهرها، إلا أنها نشرت قدراً كبيراً من الميثولوجيا لتحقيق أهدافها، ولما فشلت هي الآخري في وضع أيديولوجية تنجح في توحيد المغاربة، نتيجة سيطرة شيوخ الموحدين علي أمور الدولة، ثم إبطال عقيدة ابن تومرت، مما أوقع المجتمع في فوضي وتخبط، فشاعت الخرافة، وتحولت العلوم لضرب من الخرافة، فتحول أسرار الحروف لضرب من الطلاسم مما حدا بابن الوزان إلي وصف طائفة من المشتغلين بأسرار الحروف بأنهم " قوم يصومون صوماً غريبا ولا يأكلون لحم أي حيوان ويتناولون أطعمة خاصة ويلبسون ألبسة متميزة في كل ساعة من ساعات النهار والليل، ويدعون بدعوات معينة بحسب الأيام والشهور مبينة علي ترتيب عددي، ومن عادتهم أن يحملوا معهم تمائم ملونة نقشت بداخلها حروف وأرقام، يزعمون أنهم بعد ذلك تتجلي لهم أروح مساعدة تخاطبهم وتمدهم بمعرفة شمولية لأمور هذا الكون، وقد كان من بين هؤلاء المشتغلين بأسرار الحروف فقيه ممتاز يدعي البوني، والذي وضع قواعدهم، وحدد أدعيتهم، وبين طريقة تركيب تمائمهم، قد قرأت كتبه وأظن أن هذا العلم أقرب إلي السحر من أسرار الحروف، وأشهر كتب هذا الفن الثمانية، أثرها انتشارا اللمعة النورانية للبوني، يبين أنواع الصلاة والصيام، وكتاب آخر يدعي شمس المعارف، يشرح فيه طريقة صنع التمائم والفائدة التي تجني منها، ويسمي الكتاب الثالث سر الأسماء الحسني، يعني سر أسماء الله التسعة والتسعين، وقد رأيت هذا الكتاب بروما بين يدي أحد يهود البندقية، ويجد في هذا الطائفة نموذج آخر يدعي طريقة السواح يتبعها بعض النساك الذين يعيشون في عزلة، ولا يقتاتون غير الأعشاب والفواكه البرية ولا يعرف أحد العيشة التي يعيشونها بالضبط لأنهم يعزفون عن كل علاقة بشرية " (٦٤).

يعد عصر الانحطاط الفكري إشارة لدخول الخرافة للعلم، وكان دخول الخرافة لأسرار الحروف الذي تحول من علم له مناهجه وأصوله الخاصة لضرب من الشعوذة

والسحر، واختلط بالسحر والتنجيم وخاصة بالطلاسم والتي ترتبط فيها أسرار قوي الكلمة بالعدد وهو ما يسميه العرب علم السيمياء، حيث يعتقد أن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، لذا فهي سارية بالتبعية في الأكوان تنتقل في أطوارها وتعرف عن أسرارها، وتنقسم حسب قانون التكسير إلي نارية وهوائية وترابية ومائية لتشمل عناصر الكون الأربعة، وتتناسب الأعداد مع الحروف ذلك إن الحروف إنما ترمز في الوقت نفسه إلي الأعداد، أي أن الطلاسم : هي استعمال للحروف والأعداد ومعرفة أسرارها لغرض تحقيق خير أو شر(٦٥).

أوضح د. محمود إسماعيل أن انتشار أفكار الإمام الغزالي بين العامة وخاصة فيما يتصل بالتصوف وما يدعوا إليه من استسلام وخنوع هي السبب المباشر في نشر الشعوذة والخرافة، فضلاً عما يضمه من دعوة للانعزال والاعتكاف، وكلها قيم سلبية تتعارض مع جوهر الدين، وهو ما دفع لمعارضته بل وإحراق كتابه الإحياء، إلا أن هذا لم يحول دون انتشار أفكاره بين العامة والتي لاقت قبولاً في نفوسهم، بسبب خطابة الوعظي العاطفي الذي يخاطب فيه الشعور ويجافي العقل، وهو ما يتوافق مع ثقافة العامة، وكان هذا دافع آخر لظهور التصوف العرفاني ولذي لاقي قبولا في الشرق والغرب الإسلامي، وخاصة بعدما تعرض له العالم الإسلامي من خطر الحملات الصليبية في المشرق، وحركة الاسترداد في الأندلس، فاكسب بذلك التصوف العرفاني صفة نضالية، الذي يرجع ظهوره لاسترجاع الوجدان الشعبي ثقافته والعمل علي إعادة إنتاجها بما وفد إليه من ثقافات ومعارف جديدة نتيجة النهضة الفكرية والعمل علي صياغتها في مذهب صوفي جديد ليكون بمثابة أديولوجية نضالية في مواجهة التصوف السني السلطوي، من أشهر هؤلاء المتصوفة العرفانين المرموقين وابن العريف ابن برجان وابن قسي وابن عربي وابن سبعين في الغرب، وقد قاد هؤلاء المتصوفة حركات المعارضة تجاه السلطة السياسية فتهموا بالهرطقة والإلحاد، ومنهم من مات مقتولاً بتحريض من الحكام، وهو ما يعتبر أحد مظاهر الاضطهاد الذي تعرض له المتصوفة إبان عصري المرابطين والموحدين، فنتج عنه دخول المعتزلة والشيعة في سلك التصوف بعدما قاموا بتطويره حتي صار تصوفاً عرفانياً، مدعمين العلم النظري بالآراء الفلسفية، خصوصا عند ابن باجة وابن طفيل، وتحول التصوف العرفاني إلي أيديولوجية

ثورية لقوي المعارضة في صراعها وأتيح للمتصوفة العرفانيين مناخ فكري ملائم للبحث والدرس، إبان عهود بعض الحكام المستنيرين، فكانت الحلقات تعقد والدروس تدور حول التصوف معرفة أصوله، الأمر الذي أسفر عن إقبال الخاصة والعامة علي التصوف سواء بسواء، من خلال تلك اللقاءات الفكرية بين النخبة " (٦٦).

بالرغم من قيام التصوف العرفاني علي المعارضة، والدعوة للإصلاح والتسوية، إلا أنه مال إلي التهويم والغموض والرمز، وجنح نحو التفلسف والانخلاع عن الواقع، ولعل ذلك أمر طبيعي في عصر سادته سلطات غاشمة برر لها فقهاء معدومي الضمير، واستكان لجبروتها جمهور العوام المغلوب علي أمره والضارب في ظلام الشعوذة والسحر والخرافة.

انعكس هذا بدوره علي الفكر فصار فكر أزمة، وكان شيوع التصوف بفرعيه السني والعرفاني دليلاً واضحاً علي هذه الأزمة، إذ كان هذا الانتشار والذيوع علي ركام الفكر العقلاني والعلمي، وفي ضوء كل هذا تدهور التصوف بنمطية بعد انتشار الطرقية فاختفي جانبه الفكري أو كاد وتحول إلي نمط حياة راكدة وفاسدة، حيث كان ظهور الطرقية في المغرب سبباً في تفشي ظاهرة السحر والشعوذة، وجري تقديس الأولياء، بل ساد السحر تلك الطرق بعد إحياء بعض الطقوس العقائدية الوثنية القديمة وإدخالها في نسيج الدين، مما حدا بابن خلدون بشن حملة علي الطرقية، وعاب علي أصحابها المبالغة في الإيمان بالكرامات(٦٧).

عاني المجتمع المغربي من مشاكله التي عجزت الدول التي قامت فيه عن حلها، فان المتصوفة استخدموا أسرار الحروف بعد تقسيمها لعناصر تكوين الحياة إسهاما في معالجة مشكلات مجتمعهم، فقسمت الحروف إلي أربعة أنواع هي عناصر تكوين الحياة مثل النار والماء والهواء تراب ويوضح ابن خلدون استخدامات تلك العناصر " الحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها، إما حسا أو حكما، كما في تضعيف قوي الريخ في الحروب والقتل والفتك، والمائية أيضا لدفع الأمراض الحارة من حميات وغريها، ولتضعيف القوي الباردة حيث تطلب مضاعفتها حسا أو حكما، كتضعيف قوي القمر وأمثال ذلك"(٦٨).

هكذا استخدم أسرار الحروف كأحد الوسائل لمواجهة سلبيات المجتمع، من خلال المتصوفة الذين حاولوا الدمج ما بين معتقدات راسخة من الإيمان بالغيبيات وبين ظهور الفلسفة وتطورها، بل انه يمكن القول بأنهم تعدوا ذلك فربطوا عناصر وثنية قديمة وتقدم علمي تمثل في الفلك والفلسفة، يوضح ذلك ابن خلدون حينما يؤكد ارتباط علم أسرار الحروف بالسيمياء والطلسم " وهو المسمي لهذا العهد بالسيمياء، نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلي كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق علي أيديهم والتصرفات في عالم العناصر . وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه وزعموا أن الكمال الاسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان علي هذا النظام، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء، لا يتوقف علي موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله.." (٦٩).

المراجع

(١) ميخائيل اسعد :السحر والتنجيم، ص٥١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٢) سامية حسن الساعاتي : السحر والسحرة،ص ٥٣، ط٢، دار قباء للطباعة،القاهرة، ٢٠٠٢م

(٣) راجي الأسمر : السحر حقيقته وأنواعه، ص٧-١١،ط١، منشروات جروس يرس، لبنان، ١٩٩١م.

(٤) أبي بكر بن محمد بن الحنبلي : علاج الأمور السحرية من الشريعة الإسلامية، ص١٠، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، تونس، ١٩٩٢م.

(٥)الجصاص : أحكام القرآن، ج ١، ص٣٧، تحقيق / محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

(٦)ابن عربي : نصوص الحكم، ص ٤٧، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت (٧) ابن خلدون : المقدمة، ص٦٥٥، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.

(٨) جيمس فريزر: الغصن الذهبي، ص٣٠٥، ترجمة د. أحمد ابو زيد، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.

(٩) د.سامية الساعاتي :المرجع السابق، ص ٥٣-٥٤.

(١٠) إبراهيم اسعد : المرجع السابق، ص١٧-١٨.

(١١) د.خزعل الماجدي : ميثولوجيا الخلود، ص١٣٣، ط٢، الدار الأهلية للنشر والتوزيع،الأردن، ٢٠٠٨م.

(١٢) د. سامية الساعاتي : المرجع السابق، ص٨٠

(١٣)المسعودي : مروج الذهب، ج١، ص٤١٦،ط١، المكتبة العصرية،، بيروت، ٢٠٠٥م.

(١٤)الحسن الوزان : وصف إفريقيا، ق٩، ص١٨، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

(١٥) ابن خلدون : المصدر السابق، ص٦٥٨.

(١٦) البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص١٠١ –١٠٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

(١٧) ابن خلدون : المصدر السابق، ص٦٥٨.

(١٨)ابن عذاري : البيان المغرب، قسم الموحدين، ٣٥١، ط٣، تحقيق،د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.

(١٩) ابن خلدون :المصدر السابق، ص ٦٥٨.

(٢٠)ابن عذراي : المصدر السابق، ص ٢٧.

(٢١) التادلي : التشوف إلي رجال التصوف، ص١٨٣، ط١، تحقيق : د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢٢) ابن عذراي : المصدر السابق، ص٣٥١.

(٢٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب،ص٢٤٨، دار صور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

(٢٤) ابن عذراي : المصدر السابق، ص٣٢٥.

(٢٥) ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص٢٧٤،٢٧٦–٢٧٧.

(٢٦)ابن عذاري : المصدر السابق، ص٣٣٩.

(٢٧) المراكشي :الذيل والتكملة، القسم الأول، ص٢٢٨، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت

(٢٨) ابن غازي : المصدر السابق، ص١٨–١٩، الرباط، ١٩٥٢م.

(٢٩) مصطفي وأعراب : المعتقدات والطقوس، ص١٠، ط١، دار الحرف للنشر والتوزيع، القنطيرة، د.ت

(٣٠) لويس لومبار : الإسلام في مجده الأول، ص٨٣–٨٥، ط٣، ترجمة إسماعيل العربي، دار الأفاق الجديدة المغرب، ١٩٩٠م.

(٣١) الأنصاري : المكاسب، هامش ٢،ص٢٧٩، ط١، تحقيق/ محمد كلانتر، مؤسسة مطبوعاتي، دار الكتب،إيران، د. ت

(٣٢) ابن سينا : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ص٧٥،ط١، مطبعة الجوائب القسطنينية،١٢٩٨هـ.

(٣٣) القاضي النعمان : المجالس والمسايرات، ص١٣١– ١٣٢، ط١، تحقيق :الحبيب الفقي، دار المنتظر ،بيروت،١٩٩٦م.

(٣٤)جريجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي،ج٢،ص٢٠٨، طبعة الهلالية،١٩٥٨.

(٣٥)القاضي النعمان : المصدر السابق، ج ٢٠، ص ٤٣١– ٤٣٤

(٣٦) شاخت **وبوزورث** : تراث الإسلام، ص١١٨، ترجمة : حسين مؤنس، سلسة عالم المعرفة، العدد ١٢، الكويت،، ١٩٧٨م.

(٣٧) الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، د.ت.

(٣٨) د. إبراهيم القادري بوتشيش حلقات مفقودة،ص١٠٥–١٠٦،ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٣٩) ابن خلكان : ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦، ص٢١٤، تحقيق :د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت

(٤٠)القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشأ، ج٥، ص١٩١، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٢٢م.

(٤١) ابن الآبار : الذيل والتكملة،ط١، ج١، ص٢٩، تحقيق/ د. إحسان عباس، دار العرب الإسلامي،،٢٠١٢م.

(٤٢) أبن أبي زرع : المصدر السابق،ص١٣٨.

(٤٣) ابن الآبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي،ج ٢، ص٢٠٥، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٤٤) د. محمود إسماعيل : سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار، ص١١٣، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٤٥) شاخت: المرجع السابق، ص١١٨

(٤٦) ابن خلدون : المصدر السابق،ج١، ١٠٢

(٤٧) محي الدين بن عربي محي الدين بن عربي : الفتوحات المكية، السفر الثالث،ص٢٠٨،٢٠٤،٢٠٢ تحقيق د. عثمان يحي، ط٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

(٤٨) عبد الكريم الجيلي : الكامل، ص٨٤،المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٢١٦هـ، د.ت

(٤٩)ابن عربي :الفتوحات المكية،السفر الثالث،ص٢٠٢.

(٥٠) عبد الرازق الكاشاني : معجم المصطلحات الصوفية، تحقيق : عبد العال شاهين،ط١، دار المنار، القاهرة،١٩٩٢م.

(٥١) ابن عربي : المصدر السابق،، ص٢٠٢.

(٥٢)د. محمود إسماعيل: فرق الشيعة، ص٤٨، دار سينا،القاهرة، د.ت.

(٥٣)أدم ميتز :الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ص١٣٧، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، ج١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٥٤) د. محمود إسماعيل:الحركات السرية،ص١١٩، رؤيا، القاهرة، ٢٠٠٦م (٥٥)د.محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، ص١١٤.

(٥٦) الحسن الوزان : المصدر السابق، ج١، ص٢٧٢٠ ٢٧٤.

(٥٧) ابن خلدون : المقدمة، ص ٦٦٥.

(٥٨) د. محمود إسماعيل : سوسيولوجيا، ج٣،ص ١٣٠،٤٠-١٤١

(٥٩) ابن خلدون :المصدر السابق، ص ٦٦٥.